

## عاقبة الظلم والظالمين



رسالة من محمد مهدي عاكف - المرشد العام للإخوان المسلمين

الحمد لله، الحكم العَدْلِ، والصلوة والسلام على رسول الله، صلى الله عليه وسلم، خيرٌ من قام بين الناس بالقسط..

لله تعالى في كونه سُنْنَةً ماضيةً، لا تختلف ولا تتحابي أحداً، وسننُه في قيام الأمم ونهضتها، أو انهيارها وكبوتها، يراها كلُّ ذي عقل في تاريخ البشرية وحاضرها، وقد جعل الله تعالى العدل أساسَ الملك **﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤْدُوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾** (النساء: من الآية 58)، وأمر الله تبارك وتعالى الأمة المسلمة المستخلفة في الأرض بإقامة العدل وتحقيق القسط بين الناس، مهما اختلفت أحاجسهم وألوانهم بل وعقائدهم **﴿بِإِيمَانِهِمْ أَنَّمُوا كُوئُنَا كُوئُنَا قَوَامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجِرُّنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلشَّفَوْىِ وَأَشَقُوا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (8)﴾** (المائدة).

وَحَدَّرَ اللَّهُ سِبَاحَانَهُ مِنَ الظُّلْمِ بِكُلِّ أَنْوَاعِهِ؛ ظُلْمَ الْمَرْءِ لِنَفْسِهِ، أَوْ لِأَهْلِهِ وَعَشِيرَتِهِ، وَظُلْمَ الْأَغْنِيَاءِ لِلْفَقَرَاءِ، وَالْأَقْبَيَاءِ لِلضَّعَفَاءِ، وَظُلْمَ الْحَكَامِ لِلْمُحْكَمَوْنِ، بل وَظُلْمِ الْأَمْمِ بِعِصْبَاهَا لِبَعْضِهَا، وَبَيْنَ أَنْ عَاقِبَةَ هَذَا كَلَهُ الْهَلاَكُ فِي الدُّنْيَا وَالْعِذَابُ الْأَلِيمُ فِي الْآخِرَةِ.. **﴿وَتِلْكَ الْقَرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَّمُوا وَجَلَّنَا لِمَهْلِكَهُمْ مَوْعِدًا (59)﴾** (الْكَهْفَ)، **﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَّمُوا﴾** (يُونُس: مِنَ الْآيَةِ 13)، **﴿فَقُطِّعَ دَارِ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَّمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (45)﴾** (الْأَنْعَامَ).

ولقد ضرب الله تعالى المثل بنفسه عز وجل، وهو القادر المقتدر، القوي العزيز الجبار، فقال للبشر جمِيعاً يا عبادي، إني حرَّمت الظلم على نفسي، وجعلته مُحرَّماً بينكم فلا تظالموا ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةٌ يُضَاعِفُهَا وَيَوْئُتْ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (النساء: 40).

والناظر في أحوال العالم اليوم يرى ألواناً من الظلم، تشقّي بها البشرية جمِيعاً؛ ظلم الدول الكبُرَى للدول الصغرى، والدول الغنية للدول النامية أو الفقيرة، وظلم الحكام للمُحْكَمَىْنِ، وظلم طبقات من المجتمع لطبقات أخرى، وقد رأينا في السابق والحاضر عاقبة الظلم، كيف هلك الفرس والروم، وكيف تفتَّت الاتحاد السوفيتِي، حينما حَكَمَ الناس بالحديد والنار، وجَارَ على دولة ضعيفة كأفغانستان.

والى يوم هناك نذيرٌ شُؤمٌ يهدِّد الولايات المتحدة الأمريكية؛ بتجْرِيْرِها على دول العالم، واعتداءاتها بالسلاح والاحتلال والنهب الاقتصادي، واحتلالها أفغانستان والعراق، وتهديد سوريا وإيران، ومحاولتها نفثتِيْتِ لبنان والسودان، ثم ظلم ربيبتها إِسْرَائِيلَ التي أقاموها على أشلاء ودماء الشعب الفلسطيني، الذي ذاق ألواناً من الظلم لم يُذْقِ مثَلَّها شعبٌ من شعوب الأرض.

فإذا نظرنا إلى عالمنا العربي والإسلامي رأينا ألواناً من الظلم، هَوَّتْ بنا من القمة إلى الحضيض، بعد أن كنا ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ (آل عمران: من الآية 110)، صرنا في ذيل الأمم..

في المجال السياسي.. صار الاستبدادُ هو السمة في كل الأنظمة؛ ملكية كانت أو جمهورية، هي فرعونية جديدة تخضع لحكم الفرد ﴿مَا أَرِيَكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيَكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ (غافر: من الآية 29).. إهانة الشورى، وتزوير إرادة الأمة وحكمها بالحديد والنار، وتقرير المنافقين واضطهاد الصالحين المخلصين، وتمزيق الأمة، وتسلیط بعض الفئات على بعض ﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعَ﴾ (القصص: من الآية 4).

في المجال الاقتصادي.. احتكار الثروة لفئات محدودة، وحرمان جموع الشعب من ثمار عملها، وإهانة الطاقات والتغريط في الثروات وبيعها للأعداء وبأبخس الأسعار مقابل عمولات، تصبُّ في جيوب قلةٍ و مليارات، تفترضُ من البنوك بلا ضمانات، و مليارات أخرى تهرب إلى الخارج، والنتيجة فقرٌ مدقعٌ واحتياجٌ وذلةٌ لكل دول العالم.

في المجال الاجتماعي.. تفاوت رهيب بين الطبقات، ينذر بصراع اجتماعيٌّ يأكل اليابس والأخضر، وإفساد أخلاقي يقوم به المترفون ليهوا جموع الشعب بالمعاصي والشهوات، وشيوخ المحسوبية والمحاباة في مقابل إهانة الكفاءات والمواهب، حتى صار اليأس والإحباط سمة الكثير من شباب الأمة الذي لا يجد عملاً ولا تقديرًا ولا تشجيعاً، فضاع بعضه انتحرًا وهجرة إلى بقاع العالم.

في المجال الأمني.. أصبحت مهمة الأمن تكميم الأفواه ومصادرة الأطهار ومتاردة الحربات وتلقيق التهم، بدلاً من مطاردة اللصوص والخارجين عن القانون والمعتدين على أرواح الناس وأعراضهم وممتلكاتهم.

فكانَت النتيجة أن سقطنا، أو أُوشكنا، أن نسقط من عين الله، والله تبارك وتعالى لا يحيي أحداً ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيْكُمْ وَلَا أَمَانِيْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلُ سُوءًا﴾

يُحْزِبِهِ وَلَا يَجِدُ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (123) (النساء)، وقد حذّرنا سبحانه "إذا عصاني من يعرفني سلطت عليه من لا يعرفني".

وبين أن عاقبة الظلم تناول الجميع، الظالم بجبروته وطغيانه، والساكت عن الحق "شيطان أخرين"، وجموع الأمة إن توافت عن استخلاص حقوقها من أيدي الظالمين.. ﴿وَأَنْتُمْ فِتْنَةٌ لَا تُصِيبُنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوكُمْ خَاصَّةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (الأفال). (25)

### عقاب آخر.. أشد وأبقى

نحن الآن في عقاب الدنيا، ذلٌّ وهوانٌ، وتخلفٌ وهزيمةٌ، وجوعٌ وفقرٌ، واحتلالٌ وسفكٌ دماء، لكنَّ هناك عذاباً أشدَّ وأبقى، ينال كلَّ ظالمٍ مهما علا وتجبر، لا يستطيع له دفعاً ﴿يَوْمًا لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتَهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ (52) (غافر) ﴿النَّارُ يُعَرَّضُونَ عَلَيْهَا عُدُواً وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَذْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ (46) (غافر) ﴿فَيَوْمَذِلْ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ﴾ (25) وَلَا يُوْثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ﴾ (الفجر). (26)

### التوبة والعدل.. قبل فوات الأوان

إننا نهيب بكل ظالم أن يفهِمَ أنْ أمرَ اللهِ فيكِفَ عن ظلمِه لنفسِه أولاً، ثم لكلَّ مظلومٍ ناله بآذى في نفسه أو ماله أو عرضه ﴿وَأَنْتُمْ وَيْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (281) (البقرة).

\* أطلقوا الحرريات.. احترموا كرامة الإنسان.. أشيعوا الأمان والأمان.. ساواوا بين الناس في الحقوق والواجبات.. كفُوا عن تزوير إرادة الأمة.. احترموا أحكام القضاء.. قدّموا الكفاءات.. احترموا المواهب والطاقات والآراء.

\* اعدلوا في توزيع الثروات (فما جاء فقير إلا بتخمة غنى).. ادفعوا الشباب إلى العمل النافع بدلاً من اللهو الضائع.. نقّبوا في ثروات الأرض ولا تبيعوها للأعداء.. صونوا ممتلكات الأمة ولا تهدروها فتهلكوا الحاضر والمستقبل.

\* أجمعوا الصفوف، ووحدوا الأمة، واجعلوا سلاحكم في وجه أعدائكم، واعرفوا عدوكم ولا تعادوا شعوبكم.

\* أطلقوا سراح الأبراء الشرفاء، ورددوا إليهم أموالهم وشركائهم ومصالحهم، بل عوضوهم وأهليهم بما نالهم من آذى وحرمان وتشويه، وأنزلوهم منازلهم، ولا تقفوا من هذه الجماعة موقف الخصومة والعداء؛ فهي أمل الأمة في الإصلاح، وهي القادرة مع الشرفاء من أبناء هذه الأمة على إنقاذهما من كبوتها.

\* عودوا إلى الله واصطلحوا مع شعوبكم، واحكموا بشرعية ربكم، واهتدوا بهدي نبيكم صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِبُبُوا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحِبِّيْكُم﴾ (الأنفال: من الآية 24).



والله الهادي إلى سواء السبيل، والله أكبر والله الحمد..

وصلى الله على سيدنا محمد، والحمد لله رب العالمين